الفصل الرابع

فى الحلم وطيب ثمرته والعفو وحسن عاقبته

□ هكذا يكون الحلم !! :

قيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم ، رأيته يومًا قاعدًا بفِنَاءِ داره مُحْتَبِيًا بحمائِل سيفه[1] يحادث قومه ، فإذا هو برجل « مكتوف » ورجل « مقتول » قد أُتِى بهما ، فقيل له : هذا « ابن أخيك » قد قَتَل « ابنَك » ، قال : فوالله ما قطع كلامَه ؟، ثم التفت إلى ابن أخيه وقال له :

يابنَ أخى أَثِمْتَ بربك ، وقضيت على نفسِك بسَهمِك ، وقتلت ابن عمك !! .

ثم قال لولده الآخر أخى المقتول : قم يابنى فادفن أخاك ، وحُلّ كِتافَ ابن عمك ، وسُقْ إلى أمك مائَة ناقة حمراءَ ديَة ولدها فإنها غريبة[2]!! .

□ لا عليك أيتها الجارية !! :

ورُوى أنه جَلس يومًا فى داره على المائدة ومعه ولد صغير ، فجاءت الجارية إليه بِسَفُّودٍ[3] عليه شِواء حارّ ، فسقط من يدها على ابنه فلم - يخطىء قلبه ، فمات ! فدُهِشت الجارية ، وامتقع لونُها فقال لها : لا عليكِ ! إنما هى نَوْحَة أمه !! .

□ والله ما أخطأ من جعلك سيداً !! :

وقيل : إن المهلب بن أبى صفرة ، مر بحَىّ من همدان فرأى شابا من أهل الحَىِّ ، فقال : هذا المُهَلَّب ؟ قالوا : نعم ، قال : والله ما يُساوِى خَمْسَمِائِة درهم !، وكان المُهَلَّب رُجلاً أعوَر ، فسمع الشاب و لم يردّ عليه !

(١) الحمائل : جمع حمِيلة وهى علاقة السيف .

(٢) تجد هذه القصة فى المستطرف (١/٢٧٣ - ط دار مكتبة الحياة) .

(٣) سَفُّود : عود من حديد يشوى عليه اللحم (سيخ) .

فلما كان الليل أخذ المهلّب فى كُمه خمسمائة درهم وأتى إلى الحى فارتقب الشابّ إلى أن رآه ، فأتى إليه ، وقال : افتح حجرك ففتح الشاب حجره ، فسكب فيه ذلك القدر وهو الخمسمائة درهم ، وقال : خذ قيمة عمك المهلب ، ووالله يابن أخى لو قوّمتنى بَخمسمائة دينار لأتيتك بها ، فسمعه شيخ من أهل الحى ، فقال : والله ما أخطأ من جعلك سيدًا !! .

□ ماجاء فى الحلم وطيب ثمرته ، والعفو وحسن عاقبته ! :

١ - قال النبى - ﷺ - : « **أيَعْجِزُ أحدُكُمُ أن يكون كأبى ضمضم ؟** » قيل : ومن أبو ضمضم يارسول الله ؟ قال : « **رجل كان فيمن قبلكم إذا أصبح يقول : اللهم إنى أتصدقُ اليوم بعِرضى على من ظَلَمنى** »(١).

٢ - وقال - ﷺ - : « **ثلاثٌ من لم يكن فيه واحدةٌ منهن فلا يَعْتَدنَّ بشىء من عمله : تَقْوَىٰ تحجزه عن معاصى الله - عز وجل - وحلمٌ يكفُّ به السفيه ، وخلق يعيش به فى الناس** »(٢).

٣ - وقال - ﷺ - : « **إذا جَمَع اللهُ الخلائقَ يومَ القيامة نادى منادٍ من قبل الله تعالى : أين أهلُ الفضل ؟ فيقوم ناسٌ - وهم يسير - فينطلقون سِراعاً ، فتتلقاهم الملائكةُ فيقولون : إنا نراكم قليلاً ما كان فضلكُم ؟ فيقولون : كنا إن ظُلمنا صفَحْنا ، وإذا أسيىء إلينا غَفَرنا ، وإذا جُهل علينا حَلِمنا ، فيقال لهم : ادخلوا الجنة نعمَ أجرُ العاملين** »(٣).

● وقال بعض العلماء : الحلم أرفع من العقل ، قيل له : ولم ذلك ؟ قال : لأن الله تعالى تسمى بالحليم ولم يتسمّ بالعاقل(٤).

---

(١) حديث ضعيف أخرجه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة برقم (٦٥) من طريق مهلب بن العلاء .

(٢) ضعيف أخرجه أبو نعيم الأصبهانى فى كتاب الإيجار بإسناد ضعيف قاله العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء (١٧٨/٣) .

وقال أيضا : والطبرانى من حديث أم سلمة بإسناد لين اهـ .

(٣) عزاه المنذرى فى الترغيب والترهيب (٢٦٣/٣) إلى الأصبهانى فى كتابه الترغيب والترهيب من حديث ابن عمرو - رضى الله عنهما - وصدره بقوله : ورُوى - وهى صيغة تضعيف .

(٤) قيل قائله : ضمرة بن ربيعة كما فى روضة العقلاء لابن حبان ، والصواب أن قائله رجاء بن أبى سلمة كما فى «الحلم» لابن أبى الدنيا برقم (١٥) وبهجة المجالس لابن عبد البر (٦١٧/١) .

[حلم ابن الخطاب]

● وأُحْضِرَ بين يَدَىْ عمرَ بن الخطاب – رضى الله عنه – رجل سكران ، فأمر أن يُحَدّ[1]، فشتمه ذلك الرجل السكران ، فرجع عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – عن ضربه ، فقيل : لم تركته ياأمير المؤمنين حين شتمك ؟ قال : إنه لما شتمنى غضبت ، فلو ضربته لكان ذلك لغضبى لا لربى[2].

[حلم ابن زائدة]

□ **الرجل الذى لا يقدر أحد على إغضابه !! :**

وقيل : كان معن بن زائدة رجلاً حليماً سخِيًّا ، كريمًا جَوادًا ، كثيرَ العقلِ سديدَ الرأى ، فشاع بين جماعة من العرب أنه لا يقدر أحدٌ مِن خلق الله تعالى على إغضابه لكثرة عقله وحِلمه .

فقال أعرابى منهم : أنا أقدر على إغضابه ، فقالوا له : إن فعلت ذلك كان لك علينا مائة ناقة حَمراء !!، فدخل عليه وقت جلوسه وامتنع بأن يُسَلّم عليه ، ثم أنشده الأعرابى هذه الأبيات :

أتذكر إذْ لباسُك جِلْـدَ شاةٍ وإذ نعلاك من جِلْدِ البعير ؟!

فقال معن : أذكر ذلك ولا أنساه ، فقال الأعرابى **ثانيًا** :

فسبحانَ الذى أعطاك مُلكًـا وعَلّمك الجلوسَ على السريـر

فقال معن : ذلك من فضل الله لا من فضلك ياأخا العرب ، فقال الأعرابى **ثالثاً** :

فـلا والله مـا عشتُ يومًـا على معـنٍ أسَلّـمُ بـالأمير !

فقال معن : ياأخا العرب ؛ السلام سُنَّة من سُنن الإسلام ، فلو نطقت بها لَأُجِرْت ، وإن تركتها أثِمت ، فقال الأعرابى **رابعًا** :

سأرحل عن بـلاد أنت فيها ولو جُزْتُ الشآمَ مَعَ الثغور

فقال معن : ياأخا العرب ؛ إن سكنت لم تلق منا إلاَّ خيراً ، وإن رحلت فمصحوبًا بالسلامة ، فقال الأعرابى **خامسًا** :

---

(١) يقام عليه حد شرب الخمر .

(٢) وهذه القصة فى المستطرف (٢٧٩/١) .

فجُدْ لى يابن نـاقصة بشىء فإنى قد عزمت على المسير !

فقال معن : ياغلام أعطه ألف دينار يستعين بها على بُعْدِه مِنَّا ، ورحيله من أرضنا ؛ فقال الأعرابى :

قليـل مـا منـنت بـه وإنى لأَطْمَعُ مِنْك بـالشىء الكثيـرِ

فقال معن : ياغلام أعطه ألف دينار أخرى ، فقال الأعرابى :

سألت اللهَ أن يبقيك دهـراً فما لك فى البرية من نظير
فمنك الجودُ والإحسان حقـا وفضلُ نداك كالبحر الغزير !

فقال معن : ياغلام أعطه ألف دينار أخرى ، فقال الأعرابى : يأيها الأمير إنى لمختبرٌ لِحلمِك بما سمعتَه منى ، أما والله فقد جمع الله فيك من الحلم والجود ما لو قُسمَ على أهل الأرض لكفاهم !.

قال معن : ياغلام كم أعطيته على نظمه ؟ قال : ثلاثة آلاف دينار ، قال : وأعطه على نثره ثلاثة آلاف دينار أخرى ، فأعطاه ذلك ، فأخذه الأعرابى ثم انصرف بالمال شاكرًا وهو يبكى ، فقال له معن : ما يبكيك ياأخا العرب ؟ فقال : تذكرت أن مثلك يموت ثم قال :

لَعَمْرك ما الرزيّة فقد مـالٍ ولا فـرس يموت ولا بعيـرُ
ولكـن الرزيـة فقـد حُـرٍّ يموت بموتـه خلـق كـثير

[حِلم المأمون]

وحكى سليمان الوراق قال : ما رأيت أعظمَ حِلماً من المأمون بن الرشيد ، وذلك أننى دخلت عليه يومًا وفى يده فص مستطيل من ياقوت أحمر له شعاع قد أضاء له المجلس وهو يقلبه بيده ويستحسنه ، ثم دعا برجل صائغ ، فقال : صغ هذا الفص كذا وكذا ، وأبدع فيه ما استطعت ، وعرفه كيف يصنع به ، فأخذه الصائغ وانصرف ، ثم عدت إلى المأمون بعد ثلاثة أيام فذكر الفص ، فاستدعى الصائغ ، فأتى به وهو يرعد وقد امتقع لونه ، فقال المأمون : ما فعلت بالفص ؟ فتلجلج الرجل ولم يطق الكلام ، ففهم المأمون عنه شيئاً فولّى بوجهه عنه وكظم حتى سكن روعه ، ثم التفت إليه وأعاد القول ، فقال : الأمانَ ياأمير المؤمنين ، قال : لك ذلك ، فأخرج الفص على أربع قطع ، وقال : ياأمير المؤمنين إنه سقط من يدى على السندال

فهو كما ترى ، فقال المأمون : لا بأس عليك ! اصنع منه أربعة خواتم ولطف له الكلام ، فلما خرج الرجل من عنده قال : أتدرون كم قيمة الفص ؟ قلنا : لا ، قال : اشتراه أمير المؤمنين الرشيد بمائة ألف وعشرين ألف درهم .

[من وصايا لقمان الحكيم]

وقال لقمان الحكيم لولده : يابنى :

أَخْلِص طاعة الله – عزَّ وجلَّ – حتى لا يخالطَها شيء من معاصيه .

ثم زَيِّن طاعة الله – عزَّ وجلَّ – باتباع أهل الحق بعلم محكم لا يخالطه سقط .

ثم اجمع عِلْمَك وحَصّنه بحِلمٍ لا يخالطه شيء .

ثم أحرز حلمك بلين لا يخالطه جهل .

ثم سَدِّدْ دِينَك بحزم لا يخالطه ضَيَاع .

ثم امزج حَزْمَك برفق لا يُخالِطُهُ عنْف .

ثم قَوِّ رِفْقَك بفِقْهٍ لا يُخالطُه عُسْر .

ثم أَكْمِلْ فِقْهَكَ بإيمان لا يُخَالِطُه كفر .

ثم زَيّن إيمانك بيقين لا يخالطه شك .

ثم زَيّن يقينَك بنصح لا يخالطه غِشّ .

ثم زَيّن نُصْحَك بعمل لا يخالطه عجز .

ثم طيّب عملَك بَقصْدٍ لا يُخالِطُه فخر .

ثم أعن قصدك بكَيْسٍ لا يُخالطه ضَعْف .

ثم زين كيسك بإخلاص لا يخالطه رياء .

ثم زيّن إخلاصَك بصدقٍ لا يُخالطه كذب .

ثم زين صدقَك بإحسانٍ لا يخالطه فُحْش .

ثم زَيّن إحسانَك بمعروف لا يُخالطه مُنْكَر .

ثم زَيّن معروفَك بنَفَقَةٍ لا يُخالطها إسراف .

ثم زين نَفَقَتَك بإعطاء لا يخُالطه تبذير .

ثم زين إعطاءك بطيب لا يخالطه مَنّ .

ثم استبق من الأخلاق الخالصة من أضدادها فى استقامة لا يردك عن ذلك رغبة ولا رهبة .

واتق أخلاق الأحمق فى محاسن أمره فكيف فى مساوئه !! .